

# الشارة الموسيقية حالة بصرية ترى ولا تسمع

## سمير كوفياتي: المُبر الدرامي هو الذي يصنع الموسيقى التصويرية



أحد أهم مؤلفي الموسيقى التصويرية في العالم العربي

ساقف موقف الرفض لهذا توجه موسيقي مُكْرَر. وفي ظل واقع سياسي عالمي وعربي مازوم وفوضى حضارية كبرى تعصف بالمنطقة، تسال "العرب" كوفياتي عن رأيه في ما يحصل، فيجيب "أحيانا أتمنى أن أكون أصم، كي لا أسمع هذا الضجيج المتعالي من حولي، شاهدت فيلم بتوهون العديد من المرات، وكنت أراقب مشهد قيادته للفرقة، وهو الأصم، كان مشهدا مبهيا، شعرت بمأساته حينها، لكنني الآن أحسده على تلك النعمة.. بت أتمنى ألا أسمع هذا الضجيج، عندما كنت صغيرا كنت أحشو أذني بالقطن، كي لا أسمع شيئا، ثم عرفت كيف يُدندن الأصم من خلال الصوت الداخلي، ساكون سعيدا لو صرت أطرش، لأنني غير مهتم الآن بالأصوات، فانا أعرف الألحان التي سكنت وجداني منذ زمن بعيد، وما عادت بي حاجة إلى سماع غيرها".

على مبدأ (التشيل) وهو مصطلح ريفي بحث، ويعني اللعب بالنوتة الموسيقية، ويكون الرجوع للبدائية. لدينا العديد من الأغاني التراثية الشهيرة التي فيها تشيل. ومثاله على ذلك أغنية الفنان السوري الشهير صباح فخري "خمرة الحب اسقنيها"، فالمقطع الذي يرقص عليه ويهتف فيه الكورس والحالة المسرحية التي تظهر عليها الأغنية قَدَمَا هذه النوتة الموسيقية البسيطة في حالة مختلفة. ويضيف "الجمهور بات يريد هذا الشكل، ولو تم إلغاء هذه الحالة، لكننا أمام أغنية فنية فقيرة، لكن عمل الاستاذ صباح فخري عليها جعلها مُبهرة".

المشاهد. مرة أخرى، المسألة تحكمها جودة التمثيل، فعندما يكون الأداء جيدا لا يترك لي مجالاً للإضافة على عكس حال المشهد الضعيف".

ولسمير كوفياتي تجارب راسخة في فن الغناء، وهو الذي قَدَمَ مع زوجته الفنانة ميادة بسليبيس العديد من الأغنيات السورية الشهيرة، عن رأيه في حال الغناء السوري حاليا، يقول "لدينا فن سوري خالص ومبدعون سوريون جيدون أثروا السجل الغنائي السوري، أهمهم الفنان الشهير عبدالفتاح سكر. الموضوع اننا أناس نتكاسل في تقبل كل ما هو جديد".

ويضيف "اليوم تغيّر الأمر.. صرنا نسمع الموسيقى على الموبايل، هذه الطريقة فيها الكثير من الاستسهال، حيث يطلب المغني من الملحن أغنية طولها 3 أو 4 دقائق، ما يعني عدم توفر الوقت الكافي للعمل عليها بهدوء، صرنا نعمل

لي مجالاً للإضافة، وأحيانا أتدخل في مشهد ما وأضع موسيقى مناسبة، لأنني أشعر أن الأداء فيه مُرتك".

### ثنائي الحياة والفن

يعترف المؤلف الموسيقي السوري أنه حين يشتغل على موسيقى مسلسل درامي يجَهِّز أكثر من نائمة موسيقية، ويركبها بأكثر من حالة صوتية ومزاجية، وعندما تجهز الحلقة يركب هذه النيمات الجاهزة عليها حسب مقتضيات الأحداث. ويضيف "هنا نحن أمام ما نحو 30 ساعة من البث التلفزيوني، حيث لا يمكن للمؤلف أن يقوم بالتأليف الموسيقي لها كلها. التكنيك الصحيح في أي عمل بصري، يكون عندما يجهز الفيلم كاملا بالفديو، ثم يقوم الموسيقي بتقديم النيمات المقترحة حسب الحالة الموجودة في

مثل الموسيقي السوري سмир كوفياتي على امتداد سنوات طوال حالة فنية خاصة في شكل الغناء السوري الجاد والرصين. وهو الذي يُعدّ واحداً من أهم مؤلفي الموسيقى التصويرية في العالم العربي، حيث لحن العديد من الشارات الموسيقية لجملة من الأعمال السينمائية والتلفزيونية السورية والعربية على حد سواء.

نضال قوشحة  
كاتب سوري



لا يعني، طبعا، أنني مع تهميش دور المخرج في العمل، ولكن عليه أن يكون مُلما، ولو قليلا، بالفنون الموسيقية".

الموسيقى التصويرية عند سمر كوفياتي، تلك التي ترى، تلك التي تدخل على الفيلم دون أن يشعر المتلقي بها، على اعتبارها جزءاً من الحالة البصرية للفيلم. وهو مع وجود الموسيقى في العمل السينمائي المصري بشكل فاعل، حيث يرى أن المُبرز الدرامي هو الذي يصنع الموسيقى التصويرية، وعليه يجب أن يكون متوافقا مع الموسيقين المصاحبة له، وإلا سقط المنجز بشكل كلي أمام رداءة صوت المشهد أو ضعف الأداء التمثيلي فيه.

### موسيقى مُبصرة

يعترف الموسيقي السوري أن هناك أعمالا سينمائية عربية وعالمية باتت تُعرف من خلال موسيقاها، فقط، كـ"العرب" و"قصة حياة" و"زوربا" وغيرها.. الأمر الذي يجعله يفكر في هذا الهاجس كثيرا حين يُؤلف موسيقاه التصويرية، مضيفا "زوربا، مثلا، هو شخص يوناني، وقد عرفه الناس عبر الموسيقى التي ألّفها للفيلم وليس الفيلم في حد ذاته، لو طلبت البحث عنه في النت فستظهر المئات من المواد الصوتية مقابل عدد أقل سينماتيا. وعندما تقول ليالي الحلمية، تظهر لك الأغنية الشهيرة التي رافقت العمل. مرة سئلت هل ترى أن الموسيقى ترفع من سوية العمل السينمائي؟ أقول نعم، كما هو الحال مع الموسيقى التصويرية لمسلسل رافت الهجان".

في التأليف الموسيقي السينمائي، يرى البعض أن مهمة الموسيقي هي إيجاد معادل موسيقي للأحداث التي تجري في الفيلم، كما يقدم المخرج المعادل البصري لها، عن ذلك الرأي يقول كوفياتي "أنا مع فكرة أن المؤلف الموسيقي عليه إيجاد المعادل الموسيقي للأحداث. وبالنسبة لي ما يساعد في فعل ذلك هو براعة المشهد. ففي بعض المشاهد يقوم الممثل بعمل جهد كبير، بحيث لا يدع

دمشق - في صومعته الفنية في قلب مدينة دمشق، التقت "العرب" الموسيقي السوري سمر كوفياتي لنحواره حول مساره الفني ورؤاه الجمالية، وهو الذي ما انفك يراكم تجاربه الموسيقية منذ ما يزيد عن العقدين من الزمن مع شريكته في الحياة والفن ميادة بسليبيس في سعي حثيث مناهما لإثراء السجل الغنائي السوري والعربي عامة، فباغتنا بالجواب على سؤال مياشس: لماذا لم تسافر؟ فقال "لم أتحصل على تأشيرة، ولو توفرت لي لتركت المكان فوراً".

وعن نظرتها للموسيقى التصويرية التي يعمل على تأليفها في السينما والتلفزيون قال "الموسيقى هي التي ترى ولا تسمع، كتب سمر طحان شريكي الفني مرة، وهو كيف ونصف أصم: صوت ميادة ألوان أسمعها وموسيقى سمر الحان أبصرها. بالموسيقى يمكن أن ترى اللون. الأسود له لون وثيمة خاصة وكذلك بقية الألوان".

الموسيقى السوري سمر كوفياتي يرى أن زوربا عرفه الناس عبر الموسيقى التي ألّف للفيلم وليس الفيلم في حد ذاته

هكذا يرى كوفياتي الموسيقي التصويرية، ولكن ليس مع أي مخرج، بل مع من يمنحه هذه المساحة. ويسترس "عندنا المخرج يلج بكل شيء ويتدخل في تفاصيل العمل الموسيقي، مثلا أحدهم يقول لي لم تعجبني هذه الآلة، صوتها مثل صوت الماعز، وهو لا يفكر بين الآلة الأويوا والكلاينيت. الفن يعني أنني حر في الموسيقى التي أنتجها، وأكون سعيدا جدا بالأغنية التي ألحنها كونها تمنحني مساحة كاملة من الحرية. وهذا

# تونس.. أزمة فن أم أزمة تسويق فني؟

الدولي للبحث وأيام قرطاج للفن المعاصر. وكان مناخ الحرية عاملا مشجعا للمراكز الثقافية الأجنبية لاستدعاء تجارب فنية مرموقة وتنظيم معارض استعادية لكبار الفنانين، مثل المركز الإيطالي داتني الجبري والمركز الثقافي الألماني غوتة والمركز الثقافي الإسباني سرفانتس.

بينما ظهرت في بعض الدول العربية مطبوعات أنيقة تعنى بالنقد الفني والحياة التشكيلية، غابت مثل هذه الإصدارات عن تونس

ومن أهم الظواهر التي تلت أيضا الثورة، ظاهرة رعاية المعارض السنوية والإعلان عن نقابة لمهن التشكيليين ورابطة للتشكيليين.

هذا الحراك، رغم قيمته، سيبقى أصم، إن لم ترافقه جهود نقدية تنصف أعمال الفنانين، ليس فقط في الحقل التشكيلي، بل أيضا على مستوى الباحث الأخرى. وما زال الفنان التونسي الباحث عن المجد والشهرة مضطرا حتى هذه اللحظة للهجرة بحثا عن الإنصاف. إثبات ذلك لا يحتاج لذكر قائمة طويلة من الأسماء، فالجميع يعرفها. ولكنه يعرفها لأنها صنعت اسمها خارج تونس، البلاد التي تلد المبدعين ليبحثوا عن الشهرة بعيدا عن حضنها.

فرحات. وحول تلك الأسماء تجمعت النواة الأولى لصالوات عرض، مثلت عنصر تحفيز للأجيال التي تلت من التشكيليين.

أيضا، أسهمت صالات العرض الرسمية، التي تُدار من قبل مؤسسات الدولة، في التعريف بالتجارب الفنية، مثل رواق الفنون في حديقة البلفير وقصر خير الدين ورواق يحيين، إضافة إلى الفضاءات الملحقة بمراكز التكوين، مثل مركز الخزف سيدي قاسم الجليزي ودار الثقافة ابن خلدون ودار الثقافة ابن رشيق والنادي الثقافي الطاهر الحداد ودار سيباستيان في مدينة الحمامات. وتزايدت في العقود الأخيرة أروقة الفن المعاصر، مدعمة الأروقة القليلة التي أقامتها الدولة، ساهمت في التعريف بالتجارب العصرية، وعملت على تسويقها، من أهمها رواق الشريف "فاين آرت" في سيدي بوسعيد ورواق "صديقة" في ضاحية قمرت ورواق "بشيرة آرت" في سيالة بن عمار ورواق "عين" في صلامبو ورواق المدينة العتيقة. وبينما تركزت هذه الأروقة في العاصمة تونس وضواحيها، شهدت المدن الأخرى انحسارا شبه كلي لصالوات العرض.

وكما هو متوقع، شهدت تونس بعد ثورة 2011 انطلاقة لاصنف متطور من صالات العرض، لم تكف بتسويق الأعمال التشكيلية في تونس، بل عملت على تسويقها في أوروبا والمشرق العربي، مستفيدة من مناخ الحرية المتاح، لتسويق الأعمال عبر الإنترنت. وشهدت تنظيم تظاهرات تشكيلية على المستوى الدولي، مثل بينالي تونس للفن العربي المعاصر والمثلي

بعد الحرب العالمية الثانية انضم إليهم تشكيليون تونسيون، عرفوا باسم "جماعة مدرسة تونس"، وهم الآباء المؤسسون للفن التشكيلي في تونس، منهم عمار فرحات وجمال بن عبدالله وعبدالعزيز القرقي وعلي بلاغة وصفي العتيقة.

للفن عام 1894، في محاولة كان الهدف منها جذب أكبر عدد من الرسامين والمعماريين، من أبناء الجالية الأوروبية المقيمة في تونس، للمساهمة في وضع تخطيط للعاصمة على أطراف المدينة العتيقة.



فن يبحث عن الإنصاف (لوحة للفنان عبدالعزيز القرقي)

أيضا على الصحف المحلية، التي تكاد تخلو من متابعت تعنى بالفن التشكيلي، إلا في ما ندر، وهي إن وجدت تأتي على شكل أخبار موجزة، غالبا ليست مرفقة بالصور.

والغريب أن تونس عرفت وجود العديد من جامعي الأعمال الفنية، أغلبهم من الجالية الأوروبية، الذين اعتادوا التعامل مع هذه الهواية، أو لنقل التجارة بتكتم وسرية، يمكن أن تعزى إلى الرغبة في تلافى أي ضرائب مضافة على الأسعار، أو هي نوع من الاحتكار، حيث تسوق الأعمال في ما بعد في أوروبا محققة أرباحا كبيرة.

هذا التكتل أوقع الفنان التونسي ضحية للاستغلال المضاعف، فهو من جهة خسر الدعم المعنوي والقيمة الاعتبارية، ومن جهة أخرى خسر ماديا، وبينما يحظى نظراؤهم من الفنانين في الدول العربية الأخرى بمعاملة النجوم، والدعم المادي الذي يسهل لهم التفرد الكامل للإبداع والبحث والإنتاج، نجد الفنان التونسي يضطر للعمل في مهن أخرى لسد حاجاته اليومية.

ولن يكون من قبيل المبالغة ذكر حالات لفنانين شباب مغمورين، كانوا سعداء ببيع أعمال لهم بمبلغ متواضع لا يتجاوز 50 دولارا، خاصة إذا علمنا أن كلفة إنتاج العمل دون حساب الوقت المطلوب لإنجازه تستهلك نصف المبلغ أو أكثر.

وبالرغم من البدايات المبكرة لظهور صالات العرض وصالونات الفن في تونس العاصمة، إلا أنها لم تتمكن من لعب الدور المطلوب لتسويق الأعمال الفنية وتقريبها من الجمهور. وكانت تونس قد شهدت إقامة أول صالون

علي قاسم  
كتب سوري مقيم في تونس



تبدو الحياة التشكيلية في تونس بالنسبة للمراقب الخارجي متوقفة. حتى المتابع المجتهد يفتقد الحماسة للإحاطة بها، ولكن الشيء المؤكد هو أن الباحث سيكتشف أن تونس، كما جرت العادة في كل الأنشطة، كانت سباقا بين الدول العربية في ظهور المدارس والمؤسسات الفنية، ولا يغالي إن قلنا إن التجارب التونسية تركت أثرا واضحا على تجارب فنية بارزة في أوروبا.

بدا بالرومانسيين، ووصولاً إلى اتباع مدرسة التجريد، شكلت تونس مصدر وحى لفنانين عربيين، ويمكن اليوم تتبع الفنانين التونسيين حول العالم، خاصة فرنسا، بسهولة أكثر من تتبعهم داخل تونس نفسها.

لن نجانب الصواب لو فسرنا أن أزمة الفن في تونس سببها غياب النقد الفني، حيث ندرة النصوص النقدية، التي تصدر لشرح العمل الفني وتقييمه، هي واحدة من أكبر أسباب الفجوة القائمة بين الفنان والمتلقي، ليس فقط جلاليا، بل ماديا أيضا.

وبينما ظهرت في دول عربية مثل مصر وسوريا ولبنان والعراق، مطبوعات أنيقة تعنى بالنقد الفني والحياة التشكيلية، غابت هذه الإصدارات عن تونس بشكل كامل. ولم يصاحب تعدد المحطات التلفزيونية، الأرضية والفضائية، ظهور برامج تتابع الحركة التشكيلية، وتعزف بالفنانين وأعمالهم، وهو ما ينطبق